وَطَنِـي قَضَى
دمعة على فقيد الوطنية
الحاج أحمد مكوار

أرثِيـهِ ؟ لَـوْ يُجْـدِي الفَقِيـدَ رَثَـائِي
أوْ تَسْتَجِيبُ إذَا دَعَـوْتُ نَـدَائِي
نَأسَـىٰ عَلَى أحْبَـابِنَـا وَكَـأنَّنَـا
سَنَظَلُّ بَعْـدَهُمُـو مِـنَ الأحْيَـاء
يَمْضِي الكَثِيـرُ وَلَيْسَ يَحْظَى مِنْهُمُـو
بِـالحُبِ إلاَّ طَيِّبُـو الأصْـدَاء
وَأرَى المَنِيَّـةَ صَـائِداً لاَتَنْتَقِـي
يُمْنَـاهُ غَيْـرَ الـدُّرةِ العَصْمَـاء
يَستَلُّهَـا كَـالعَيْنِ مِنْ أهْـدَابِهَـا
وَالقَلْبِ يَنْـزِعُـهُ مِـنَ الأحْشَـاء
وَمُصَـابُنَـا فِيمَن نُحِـبُّ رَزِيَّـةٌ
وَطَنِيَـةٌ مِـنْ أفْـدَحِ الأرْزَاء
لَمْ تَطْـوِ فِيـهِ المَـوْتُ غَيْـرَ صَحَـائِف
حُبْلَـىٰ بِكُـلِ جَلِيلَـةٍ غَـرَّاء
وَمُجَـاهِـداً وَهَبَ القَضِيَـةَ عُمْـرَهُ
مُتَخَلِيـاً عَـنْ تَـالِـدِ النَّعَمَـاء

وَمَنَـــــارَةً وَهَّـــــاجَـــــةً لاَتَنْطِفِـي
أضْـــوَاؤهَـــا فِي اللّيْلَـــةِ الظَّلْمَـــاء
عَـــرَفَ الغِنَى فِـي حُبِـــهِ لِبِـــلاَدِهِ
لاَ فِي اكْتِسَـــابِ المَـــالِ وَالإثْـــرَاء !
فَـــاخْتَـــارَهَـــا وَطَنِيَّـــةً صُـــوفِيَّـــةً
لَمْ تَنْـــدَفِعَ يَـــوْمـــاً مَـعَ الأهْـــوَاء
عَـــرَفَتْـــهُ فَـاسٌ فِي الطَّلِيعَـــةِ يَـــوْمَ أنْ
عَـــزَمَ الـــدَّخِيلُ عَلَى ابْتِـــزَازِ المَـــاء
عَـــرَفَتْـــهُ فِي كُلِ المَـــوَاقِفِ فَـــارِســـاً
وَابنْنـــاً لَهَـــا مِن أنْجَـبِ الأبْنَـــاء
عَـــرَفَـت (أبَـــا عَقْلَيْنِ) يَـــوْمَ تَفَجّـــرَتْ
كَـــالسَّيْـلِ غَضْبَتُهَـــا عَلَـى الأعْـــدَاء
أعْطَىٰ فَـــوَفَّى فِـي العَطَـــاء لأمّـــةٍ
مُحْتَـــاجَـــةٍ لِمُجَـــاهِـــدٍ مِعْطَـــاء
أعْطَىٰ المَثَـــالَ لِشِيبِهَـــا وَشَبَـــابِهَـــا
بِصُمُـــودِهِ كَـــالقَلْعَـــةِ الشَمَّـــاء
(بُـــونْنِيبُ) تَعْـــرِفُ أي ضَيْفِ حَلَّهَـــا
وَأتَىٰ إلَيْهَـــا مِنْ مَكَـــانٍ نَـــائِي
عَلِمْتُ (فَـــرَنْسَـــا) أنّـــهُ مِن مَعْـــدِنٍ
لاَ يُشْتَـــرَى بِـــالمَـــالِ وَالإغْـــرَاء !

ظَنُّـــوا القَضَـــاءَ عَلَيْـــهِ فِي إقْصَـــائِهِ
وَالمَجْـــدُ لِـــلأحْـــرَارِ فِـــي الإقْصَـــاء !
لَـــوْلاَ ظَـــلاَمُ السِجْنِ لَـــمْ تَعْـــرِفْ لَنَـــا
عَيْنٌ جَمَـــــالَ العَيْشِ فِـــي الأضْـــوَاء !

* ● *

قَـــالُـــوا : طَـــوَاهُ المَـــوْتُ قُلْـــتُ لَعَلَّـــهُ
يُبْـــدِي لَكُم مَـــا غَـــابَ مِنْ أشْيَـــاء
إنْ كَـــانَ فِـــي مَـــوْتِ الكِبَـــارِ فَجِيعَـــةٌ
يُمْنَى بِهَـــا الأبْنَـــاءُ بِـــالآبَـــاء
فَلَقَـــدْ تُضَـــاءُ حَيَـــاتُنَـــا بِتُـــرَاثِهِم
كَـــالنّجْـــمِ يَهْـــدِي وَهْـــوَ فِـــي الأجْـــوَاء
حَجَت إلَيْـــهِ وُفُـــودُنَـــا وَقُلُـــوبُنَـــا
فِـــذَكَـــرْتُ حَـــجَّ الشّعْبِ لِلْبَطْحَـــاء !
وَرِحَـــــابَ دَارٍ فَتَّحَت أبْـــوَابَهَـــــا
لِلشّعْـــبِ فِي الســـــرَّاء وَالضـــــرَّاء
كَـــانَتْ مَثَـــابَتَـــهُ وَكَـــانَتْ لِلْعَـــدَىٰ
مِثْلَ القَـــــذَىٰ فِي الأعْيُنِ الـــــرَّمْـــــدَاء
مَـــا مَـــاتَ مَنْ تَـــرَكَ الحَيَـــاةَ وَذِكْـــرُهُ
فِـــي كُـــلِ قَلْـــبٍ طَيّـــبُ الأشِـــــــــذَاء

أغْنَى مَـــلاَحِـمَ شَعْبَنَـــا بِنِضَـــالِـــهِ

مُتَحَمِـــلاً فِيـــهِ أشَـــدَّ بَـــلاَء

وَرَأىٰ جُهُـودَ نِضَـــالِـــهِ قَـــدْ أثْمَـــرَت

وَرَأىٰ مَسِيـــــرَةَ شَعْبِنَـــا البَنَّـــاء

مَـــاضَـــرَّ لَـــوْ أنَّ المَنِيَّـــةَ أمْهَلَت

حَتَّى يَـــرَانَـــا فِي ذُرَى العَلْيَـــاء

وَيَـرَىٰ مَسِيـرَتَنَـا اسْتَقَـامَتْ وَاسْتَـوَت

وَاسْتَصْلَحَت مَـــالاَحَ مِـنْ أخْطَـــاء

إنَّـــا وَرَاءَكَ الا اخْتِيَـــارَ لَكَـــائِنٍ

فِي رِحْلَـــةٍ تُقْضَـىٰ بِـــلاَ إرْجَـــاء

فَـــالعَيْشُ فِـي دُنْيَـا بِـــلاَ مِثْـلٍ كَمَنْ

يَحْيَـــا بِـأرْضٍ جَـــدبَـــةٍ صَحْـــرَاء

وَكَأنَّنِـي بِكَ ضِقْـتَ فِي دُنْيَـــا بِـــلاَ

قِيَمٍ تَمُـــوجُ بِقَـــاتِمِ الأسْـــوَاء

وَدَّعْتَ عَـــالَمَنَـا الـــذِي عَصَفَتْ بِـــهِ

رِيحُ الطُّغَـــاةِ وَنَـــزْوَةُ الغَـــوْغَـــاء

قَـــادُوا سَفِينَتَـــهُ إلَـى دَوَّامَـــةٍ

لاَتَسْتَقِـــرُّ بِـــهِ عَلَـى مِينَـــاء !

فَــارْتَحْ قَــرِيــرَ العَيْنِ بَعْــدَ مَسِيــرَةٍ

جَلَّت مَكَــــارِمُهَــــا عَنِ الإحْصَــــاء

وَتَحِيَــــةً لَكَ مِن رِفَــــاقٍ لَمْ تَــــزَلْ

فِي الــدَّرْبِ سَــــائِرَةً بِــــلاَ إعْيَــــاء

وَلِمَنْ أحَبَّـكَ صَــامِــداً وَمُنَــاضِــلاً

وَأسَلْـتَ أدْمُعَــــهُ جَمِيـلُ عَــــزَائِي